

مكانة المرأة في فكر علي شريعتي

The status of women in Ali Shariati's thought

صليحة رويني،

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2،

salihhasaliha252525@gmail.com

إسماعيل زروخي

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2،

szeroukhi@yahoo.fr

المخبر: فلسفة العلوم الإنسانية

تاريخ الاستلام: 2025/02/16

تاريخ القبول: 2025/06/01

ملخص:

لقد قدّم "علي شريعتي" مفهومًا ثوريًا ومتحرّرًا لدور المرأة في الإسلام والمجتمع، مع التأكيد على أنّ مكانتها يجب أن تكون مبنية على الوعي والتعليم والتفكير النقدي بعيدا عن المفاهيم التقليدية التي تقيد حريتها وتحصر أدوارها، ومشدّداً على تحمل المرأة مسؤوليتها في التغيير الاجتماعي في كونها تحتلّ مكانة هامة في الإسلام والمجتمع كونها قادرة على إحداث تغيير اجتماعي وثوري، مؤمنا بأن المرأة التي تحمل وعيا وفهما عميقا للدين والمجتمع قادرة على تقديم مساهمة فعالة في حركة التقدم والتحرر. ومن خلال فكره دعا إلى نهضة فكرية تعيد للمرأة مكانتها الطبيعية في المجتمع مع الحفاظ على جوهر الدين بعيدا عن كل ما يؤدي إلى تهميش حقوقها، إذ كان يرى في الإسلام نظاما متكاملا وهذا ما لمسناه في اتّخاذها

فاطمة أنموذجا يحتذى به مؤكدا على أن الدين لا يقتصر على الجانب الروحي، بل يشمل كل جوانب الحياة بما في ذلك حقوق المرأة في العمل والتعليم والمشاركة السياسية، وعليه كان يميز بين التحرر التقليدي للغرب وبين التحرر الذي يتناغم مع القيم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: علي شريعتي؛ المرأة؛ الإسلام؛ التقليديين؛ المحدثين.

Summary :

Ali Shariati proposed a revolutionary and liberating vision of the role of women in Islam and society, emphasizing that their position should be based on awareness, education, and critical thinking, far from traditional concepts that restrict their freedom and limit their roles. He highlighted women's responsibility to hold a significant place in Islam and society, capable of initiating social revolutionary transformations.

Convinced that women who possess deep awareness and understanding of religion and society can make a meaningful contribution to progress and liberation, Shariati called for an intellectual revival that restores women's natural place in society while preserving the essence of religion, free from anything that marginalizes their rights.

He viewed Islam as a comprehensive system, which is evident in his adoption of Fatima as an exemplary model, emphasizing that religion is not limited to spiritual aspects but encompasses all dimensions of life, including women's rights to work, education, and political participation. Therefore, he distinguished between the traditional western concept of liberation and a form of emancipation that aligns with Islamic values.

Keywords: Ali Shariati; Women; Islam; Traditionalists; Modernists.

أولاً. مقدمة:

قضية المرأة قضية محورية، تختلف مكانتها من ثقافة إلى أخرى ومن عصر لآخر، حول الدور الذي تشارك فيه في المجتمع على مرّ العصور سواء في الماضي أو الحاضر، إذ بدأت حقوق المرأة ومكانتها بشكل كبير في مختلف أنحاء العالم وكذا العديد من الثقافات القديمة، حيث كانت محطّ تهيمش وتقييد، ولكن مع مرور الوقت بدأت هذه المفاهيم المغلوطة تتلاشى وتقدم التجارب الكبيرة التي تتعلق بالمساواة بين الجنسين هذا من جهة بالإضافة إلى كونها جزءاً أساسياً في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من جهة أخرى، ويتجلى هذا في العديد من المجالات مثل التعليم والعمل والسياسة والحقوق المدنية وغيرها من الميادين، ورغم هذا التقدم لا تزال هناك تحديات كبيرة تخصّ التمييز والعنف والنظرة الدونية ضدّ المرأة، وعليه فإن مكانة المرأة تتطلب ردّ الاعتبار والاحترام المتساوي بين الجنسين كونها تلعب دوراً أساسياً في بناء المجتمعات، ولعلّ أكبر ما يدل على مكانة المرأة وحقوقها هو الإسلام، الذي أعطى لها مكانة ورد اعتبارها بعدما كانت مهمشة.

فلو تتبعنا قضية المرأة كرونولوجياً نجدها كانت متلاشية في العصر الجاهلي ومكبلة في العصور الوسطى وخاصة المسيحية أما أثناء عصر النهضة فتعلق مفهوم تحرر المرأة بتنازل القيم الدينية والثقافية، لكن هناك مفاهيم مغلوطة وتفسيرات مشددة لحقوقها ومكانتها، إذ نجد "علي شريعتي" المفكر الإيراني والمصلح الاجتماعي الذي كان له تأثيراً كبيراً في الفكر السياسي والديني والعالم الإسلامي من خلال رؤيته للمجتمع بصفة عامة وللمرأة بصفة خاصة.

لذلك كان يدعو إلى إعادة تفسير النصوص الدينية بما يتناسب مع العصر متجنباً الجمود الذي قد يحول دون تقدم المرأة وكان ينظر إليها كعنصر حيوي في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية، فمن خلال مؤلفاته

ومحاضراته أراد إعادة التأكيد على دور المرأة في الإسلام وضرورة تحررها من القيود التي فرضتها التفسيرات السطحية للديانة، محاولاً بناء أفكار تتماشى مع الهوية الإسلامية ويعزز حقوق المرأة دون المساس بجوهر الدين؛ ومن خلال مقالنا هذا سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية: فيما تتمثل مكانة المرأة عند "علي شريعتي"؟ وقد تفرّعت عنها مجموعة من المشكلات الجزئية: ما هي الجذور التاريخية للمرأة عبر العصور؟ وهل لعبت دوراً فعالاً في التغيير الاجتماعي والثوري؟ ثم ما هي أهم النماذج التي قدمها "علي شريعتي" في نضالها ضد الاستبداد والظلم من جهة وفي كونها أنموذجاً يحتذى به من جهة ثانية؟

ثانياً. الجذور التاريخية لقضية المرأة وضمحلل القيم الإنسانية:

ما خلفية الحرب العالمية الثانية التي قوّضت جميع التقاليد المعهودة والقيم الدينية والعادات والأخلاق والمثل المعنوية الاجتماعية التي كانت سائدة هناك، حيث أنّ الطبيعة العدوانية للحرب أدّت إلى تصاعد وتيرة العنف والقسوة والجريمة والاعتداء والقتل، كما كان لها من الناحية الفكرية والأخلاقية تأثير بالغ في الانحراف المفاجئ الذي ظهر على جيل ما بعد الحرب، بحيث أنّ الغرب مازال يشعر، وبعد مضيّ ربع قرن على ترك الحرب بتأثيراتها المقيتة في الروح والفكر بل وحتى في الفنّ والفلسفة اليوم، فالأشخاص الذين شاهدوا فتيل الحرب العالمية الثانية، ألمانيا وفرنسا بل وحتى أمريكا التي كانت بعيدة عن ويلاتها، يشعرون بعمق التغيير الذي طرأ خلال هذه الفترة ويبدو لهم وكأنّ الأوضاع هناك قد مضت عليها بضعة قرون، إذ انهار كلّ شيء فجأة خلال جيل واحد.

ويتّضح من هذا أنّ إحدى الإفرازات الطبيعية التي أسفرت عنها الانحرافات الناجمة عن الحرب، تجسّدت في انهيار القيم الأخلاقية التي كانت تحملها المرأة على الدوام¹، إذ تمحورت كلّ فضائل النساء وقيمهنّ

الاجتماعية في ملابسهنّ وأعضائهنّ التناسلية²، وقضية المرأة هذه يمكن تتبعها كرونولوجيًا كما يلي:

1. الكنيسة (القرون الوسطى):

وأما قبل ذلك، فقد كان الغرب يخوض صراعًا فلسفيًا وفكريًا واجتماعيًا وإنتاجيًا وحضاريًا وثقافيًا شاملاً ضدّ مظاهر القرون الوسطى، أي ضدّ الدين الذي كانت تدعو إليه الكنيسة في القرون الوسطى، متمثلاً في المذهب الكاثوليكي، حيث هاجم بشكل تلقائي جميع الحدود والقيود والقيم الأخلاقية والفكرية والعقائدية التي كانت الكنيسة تدافع عنها وتدعمها باسم الدين إلى أن قضى عليها قضاءً مبرحاً، وجملة الثوابت حرمت الكنيسة على الدفاع عنها باسم الدين وكان الدين بمثابة الحارس المستأمن عليها هي قضية حقوق المرأة وشخصيتها المعنوية والاجتماعية والإنسانية التي كثيراً ما كانت تُمازجها قيود وتقاليد فيها جور كبير على المرأة³.

2. عصر النهضة (غلبة الثقافة البرجوازية):

ومن بعد عصر النهضة وفي أعقابه تنامي الطبقة البرجوازية، حيث تغلّبت الثقافة البرجوازية بما تُعنيه من نزعة الحرية الفردية، على الكنيسة، وبهذا الانتصار الساحق الذي اجتاحت السيادة الروحية والحقوقية والأخلاقية للكنيسة والدين، انهارت بشكل تلقائي هذه القاعدة التي طالها ذلك الهجوم البرجوازي، وانهارت على أثر ذلك جميع القيم المنحرفة وحتى التقاليد الإنسانية الإيجابية منها والسلبية المتعلقة بالمرأة، وكانت تحظى من قبل بالحماية باعتبارها معلماً من معالم الدين، وطُرح في أعقاب ذلك فكرة الحرية الجنسية، ولما رأت المرأة أنّ شعار الحرية الجنسية يحطّم جميع الأغلال التي كانت تُكبّلها، رحّبت بها أشدّ ترحيب إلى أن دخلت برُمّتها في إطار البحث العلمي⁴.

3. العصر الحديث:

لقد تغيّر الدور الثقافي والاجتماعي للمرأة في العصر الحديث وذلك بعد انتشار الفلسفات ذات النزعة الفردانية مقابل تقويض النزعات الاجتماعية التي تُعلي من شأن النحن الاجتماعية، كما تغلبت النزعة المادية القائمة على المصلحة واللذة على حساب النزعة الروحية القائمة على التقوى وطلب الكمال؛ وهذا التحول الكبير في المبادئ الأخلاقية الأساسية للإنسانية ساهم في تغيير وضع المرأة ومكانتها الاجتماعية وفقا لتفسيرات "كلود بيرنارد" التجريبية و"فرويد" النفسية، التي دعت إلى تحرير المرأة وطالبت باستقلالها الاقتصادي والاجتماعي من أجل تحقيق ذاتها مقابل سلب عواطفها الإنسانية والروحية.

ثالثا. المرأة المسلمة المعاصرة: من النموذجين التقليدي والتحديثي إلى النموذج الفاطمي

لقد لخص "علي شريعتي" في حديثه عن المرأة وقضاياها في مقابلة مع "فرويد"⁵ لما تحدّث عن الرؤية البرجوازية الجديدة لجميع الأخلاق والفضائل وكلّ المظاهر النبيلة المحروسة في الروح الإنسانية بشيء سمّاه "الواقعية" وهو لا يعرف هذه الواقعية من وجهة نظر البرجوازية، بل يعرفها من وجهة نظر العالم والفيلسوف وعالم النفس والخير بالإنسان، إذ تحولت كل هذه الأمور إلى أدوات بيد هذه الطبقة التي يتلخص الإنسان -حسب رأيها- بحيوان جنسي وحيوان مادي.

فالبرجوازية مسخت كل شيء وجعلت من نفسها بديلا عن الأديان والفلسفات والقيم الإنسانية، وانتهجت منهجا واحدا وابتنت معبدا وبشرت بنبي واحد لأبناء العصر البائس والكل يجب أن يجعلوا من أنفسهم ضحية له. ونبي البرجوازية هذا هو "فرويد" ودينه الجنس، ومعبده الفرويدية، وأول ضحية نُحرت على عتبة هذا المعبد هي القيم الإنسانية للمرأة⁶، حيث: "يرى

علي شريعتي أنّ الفرويدية، كعنوان للتحرّر البرجوازي، الجنسي، قد استُخدمت في المجتمع البرجوازي كمخدّر جسدي وعقلي، وجرى تسخير المرأة بأوليّة الكبت والجنس، في خدمة الاستثمار والاستعمار، والاستغلال العقلي والروحي والجسدي⁷.

1. فاطمة وزينب كأنموذجين للمرأة المسلمة:

ففي الوقت الذي تدعو فيه الفرويدية الجيل الشاب، وخاصة الفتاة للتححر والانطلاق والاعتقاد بأصالة النزعة الجنسية، هناك في الوقت ذاته فئة تتناغم معها في مسارها هذا فتُهيء الأجواء لقبول هذه الدعوة أكثر مما يفعلها أقرب المقربين إليها، وتلك الفئة هي الجماعة التي تكافح هذه الفكرة بأساليب جاهلة وساذجة، وتحاول صيانة ذاتها ضد هذه الموجة استناداً إلى تقاليد رجعية ومنحرفة وبعيدة عن الفكر والروح الإنسانية، وهو ما يؤدي بالنتيجة إلى خلق عُقد لدى قطاع واسع من أبناء المجتمع، حيث يقول "شريعتي": «المعمّم يقول: لا يمكن ذلك. والرمّال يقول: أمر غير ممكن. فالمرأة المسلمة هي هكذا، والنبي قال لا تعلّموا نساءكم، بل علّموهنّ الحياكة وسورة النور. هكذا هي المرأة المسلمة، تلك التي ترونها، الضعيفة المكسورة»⁸؛ هذا ما يقوله الرجعي المتخلّف، أما المتقدّم فيصف المرأة وصفاً مختلفاً يقول فيه "شريعتي": «والمرأة العصرية المتطورة هي تلك التي تراها عند مداخل المواقف كيف تبرز جمالها وتجذب الزبائن. إنها تستعرض جمالها وتشبع العيون بجسدها، وهل لدى المرأة ما تفخر به سوى جمال جسدها وعرضه، عليها أن تعرضه، فهذا هو حقّها»⁹؛ فكلّا الفريقين يريان في المرأة مجرد سلعة رخيصة، الأول يغطيها ويحرمها من أبسط حقوقها والثاني يعرّيها ويعرضها أمام الملأ.

ولكن كيف تتعاون هذه الفئة مع هذه الدعوة؟

تتعاون معها عن طريق الاستهانة بالجيل الشاب وزرع الشكوك والعُقد في نفوس أبنائه، وخاصة في نفس المرأة التي أضحت اليوم فريسة لهذا الصياد العالمي الكبير، فهو حينما يدعو المرأة إلى الخروج من بيتها يساعده هذا الذي يبدو وكأنه عدو له في الظاهر من خلال حرمان المرأة من حقوقها الإنسانية والدينية وتكبيّلها بالقيود والأغلال مما يدفعها إلى الانطلاق خارج البيت وتلبية دعوته واللجوء إليه، فهذا أفضل معين له في العالم كله، وقد أشارت الاحصائيات إلى أن الدعوة إلى النزعة الفرويدية أحرزت في البلدان والمجتمعات المحافظة -حيث تعاني فيها المرأة حرمانا أكثر- نجاحا يفوق ما أحرزته في أماكن أخرى.

ولا شك في أن السبيل إلى مكافحة هذا الوباء الخطير لا يتم بواسطة التعصب وتكبيّل المرأة بقيود وأغلال تعود إلى تقاليد بالية، وإنما السبيل إلى ذلك يتحقق فقط من خلال إعطاء المرأة حقوقها الإنسانية والإسلامية¹⁰ إذ يقول "علي شريعتي": «إذا منحنا المرأة حقوقها الإنسانية والإسلامية نكون قد أعددنا أفضل عنصر قادر على مجابهة هذا الهجوم، وإذا منعناها حقوقها نكون قد قدمنا أجلّ خدمة لهذه الدعوة المشؤومة، ونكون قد أخرجناها من هذا الطريق إلى الطريق الآخر الذي تزيّنه لها هذه الدعوة»¹¹.

أ. من فاطمة إلى زينب:

يتناول "علي شريعتي" حياة السيدة "فاطمة الزهراء" ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال استعراض جوانب من شخصيتها كدوافع في العالم الإسلامي وأهمية رسالتها للمرأة المسلمة.

حيث ذكر لو أن شخصية فاطمة صوّرت على حقيقتها التي كانت عليها، وعلى النحو الذي كانت تفكر فيه وتتحدث فيه، وتعيش وفقاً له، وكيف كانت تؤدي دورها في المسجد وفي المجتمع وفي البيت -إذ كان لها دور في المجابهة الاجتماعية يختلف عن دورها في البيت-، وكان لها دور في تربية

الأولاد ودور آخر خلاق ومُبدع، لو تم تصوير كل آفاق حياتها هذه وتعريفها للجيل الناشئ، لآخذها كل مسلم، بل وكل إنسان وفي للقيم الإنسانية ومؤمن بالحرية والحقيقة للرجل والمرأة، كأفضل قدوة وأسوة يمكن السير على خطاها في عالم اليوم¹².

إن الإسلام حيّ بوصفه مجموعة من الأفكار والمعتقدات، كما أنه حيّ بأحكامه وقواعده الاجتماعية، وهو حيّ أيضاً بشخصياته المثالية التي صاغها وقدمها لبني الإنسان، وكل مجتمع بشري -وبغض النظر عن طبيعة علاقاته الانتاجية، وضمن أي نظام اجتماعي يعيش، وبقطع النظر عن مستواه الثقافي- حين يطلع على الصورة الجميلة للحسين بن علي يرى فيه أفضل إنسان خليق بالثناء وجدير بأن يقتدي المرء خطاه على الدوام، وكل امرأة -في أي شكل كانت وفي أي نظام ومهما كانت العقيدة الدينية والاجتماعية التي تؤمن بها- تؤمن بالقيم الخالدة للمرأة في صورتها المثالية، تعترف بزینب في كربلاء وفي بلاط يزيد، وفي تلك الفترة المريعة العصبية من بعد شهادة الحسين، كمظهر للقيادة الاجتماعية، ويجب أن يبقوا أحياء على الدوام لكل نظام ومجتمع، فالحياة هنا معناها القدرة على التأثر والقدرة على الهدايا، والوقوف كمعالم على الطريق لمهتدي بهم أبناء البشرية في أية أمة كانوا وفي أي عصر وأي مكان¹³.

ب. امرأة من نوع ثالث:

يقصد "علي شريعتي" هنا أنّ هناك امرأة من نوع ثالث تتطلع إلى مثل هذا الخيار، امرأة لا تقبل النموذج الموروث للمرأة، ولا تقبل المستورد الوافد من أقذر وأساء أعداء الإنسانية، فهي تعرف كلا النموذجين حق معرفتهما، وما يفرض عليها باسم التقاليد الموروثة لا صلة له بالإسلام، وإنما هو مأخوذ من عهود سيادة الأب وحتى من عهود الرقّ، وما يفد اليوم من الغرب لا هو من العلم ولا هو من الإنسانية، ولا هو من الحرية في شيء، ولا هو قائم على

أساس احترام المرأة، بل كل ما فيه أنه مبني على أساليب مُخادعة تمارسها القوى البرجوازية الحقيرة لتخدير بني الإنسان، فإذا أرادت المرأة اختيار واحد من هذه المناهج، فهي لا تختار النهج التقليدي الرجعي ولا النهج الحديث المستورد، وإنما تختار النهج الذي أراده الإسلام للمرأة.

حيث تتخذ المرأة في فكر "علي شريعتي" الثوري مكانة متعالية جدا، إذ يعتبرها امرأة من نوع ثالث لا هي امرأة تقليدية جامدة ولا هي امرأة متغربة (غربية) ذات حرية فائقة؛ وبهذا يكون قد اتخذ موقفا وسطيا من قضية المرأة: "هو موقف النساء اللواتي لا يستطعن تحمّل القديمة، ولا يُردن الاستسلام للجديد، لئلا يقعن في الاستلاب وفقدان الهوية في دفاعهنّ عن الذات والذاتية"¹⁴؛ لأنّ المرأة الغربية تحرّرت بطريقة مبالغ فيها في إطار البرجوازية والرأسمالية الغربية التي جعلت منها مجرد سلعة مثل كلّ السلع الاستهلاكية الأخرى، وفي الجهة المقابلة نجد المرأة الشرقية الخاضعة للنظام التقليدي الذي يجبرها على البقاء داخل البيت ويحرمها من كلّ الحقوق البشرية، جعلت منها امرأة متخلّفة في جميع المجالات، ومن هنا نادى "علي شريعتي" بوجه قالى للمرأة يكون مختلفا عن الوجهين الأول والثاني، هذا الوجه تمثله فاطمة سيدة نساء العالمين، بوصفها نموذجا للمرأة المهمة والمكافحة الثورية.

ولفهم النهج الثالث قدم "علي شريعتي" عوامل وشواهد تاريخية وهناك أهم من هذه العوامل وأكثر تجسيدا من التاريخ، هو ذلك التصوير العيني للشخصيات المثالية الموجودة في تاريخنا باسم الإمام وباسم الأسوة والقدوة وكل منها تجسيد لأفق من آفاق الحياة، فالحسن قدوة في الصلح، والحسين أسوة في الجهاد والشهادة، وزينب مثال في حمل أثقل رسالة اجتماعية في ميادين العدالة والحق، وفاطمة تجسيد للمرأة المثالية وعلي أسوة في كل

شيء، فمعرفة السيرة التاريخية لكل هذه الشخصيات لا يفي بالغرض بل ينبغي فهم واستقاء الدروس من حياتهم.

فحينما يعدّ الرسول P فاطمة كواحدة من أكبر نساء العالم، وحينما يواسيها على تحمل المصاعب والآلام ويقول لها: ألا تريد أن تكوني سيدة نساء العالمين؟ فهذا ليس من باب المجاملة التي يثني فيها أب على ابنته لأن الرسول P لا يتبع أمثال هذه المجاملات، بل قال عنها: لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها، وقال لها في موقف آخر أمام الناس: يا فاطمة اعملي فإن أباك لا يغني عنك يوم القيامة¹⁵، حيث يقول "علي شريعتي": «كان يجلس ابنته فاطمة على فخذه أمام أنظار الناس ويداعبها وهو يتحدث إليهم، ويتعمّد المجاهرة بحبه لها كأنه يريد أن يؤكد أنّ البنت عزيزة كالولد وليست عارًا على أهلها»¹⁶.

كانت علاقات الرسول P جادة وحازمة ولا مجال للمزاح والمجاملة فيها، ولم يكن مثلما نحن عليه من المجاملات، وهذا ما جعل الرسول P يوصي بالصبر والتحمل والنهوض بأعباء المسؤولية الملقاة على عاتقها، فهي كانت شخصية تفوق سائر النساء، والرسول عندما يقول لها إنك قادرة على أن تكوني سيدة النساء، فهذا الكلام ليس من باب المجاملة ولا يعني أنه جعل منها صنما لاتباعه يعبدونها ويكيلون لها المديح والعيول، وإنما أرادها مثالا وقدوة ليشخصوها ويتعلموا منها الدروس ويطبقوها في حياتهم، وهذا هو معنى: "سيدة نساء العالمين"¹⁷.

ولكن كيف تتعلم من حياة فاطمة؟

إن انتقاء الدروس من حياة هذه الشخصية ظاهر وجلي في قضية فدك¹⁸؛ فالمساعي التي بذلتها فاطمة من أجل استعادة فدك لم تكن ترمي إلى الحصول على مزرعة صغيرة فحسب، إذ لا ينبغي التقليل من شأن جهودها ومساعدتها إلى هذا الحد بل كان الإعلان المتواصل عن غضب فدك والعمل

من أجل استعادتها تعبيراً عن غضب وانحراف النظام المالي الذي كانت فاطمة تعارضه، وكان هذا بمثابة نموذج سياسي على عدم شرعية وعدالة النظام الذي تسلم زمام السلطة على الرغم من كل التبريرات الدينية، وعلى الرغم مما كانت لأساطير الصحابة من وجهة.

من هنا قدم "شريعتي" رؤية مميزة عن المرأة في مجتمعه، اعتبرها عنصراً أساسياً في بناء المجتمع وأكد على دورها الفاعل في التغيير الاجتماعي والسياسي.

ومنه يرى "شريعتي" بأن مثل هذه الموضوعات تُثار لتُستقى منها الدروس التي يمكن أن تؤخذ من أكبر مظهر للأمم في تاريخ الإسلام، وعن مثال بارز لربّة بين لها زوج وأولاد وكانت طوال عمرها من طفولتها وحتى زواجها ومن زواجها وحتى وفاتها امرأة ذات مسؤولية عن مصير الأمة، وذات فكر وعقيدة وجهاد، وتشعر بمسؤولية حيال الانحراف والظلم الموجود في المجتمع ولها مشاركة وحضور فاعل في قلب الأحداث الاجتماعية ولم تلتزم الصمت حتى لحظة وفاتها على الرغم من معرفتها بأن هذا الجهاد لن يعود عليها بالنصر، فهذا درس ومسؤولية اجتماعية¹⁹.

وعليه اعتبر "علي شريعتي" أن الإسلام يقدم نموذجاً إيجابياً للمرأة، مبرزاً شخصيات نسائية تاريخية لما ذكرنا سلفاً مثل فاطمة الزهراء، التي اعتبرها مثلاً للقوة والوعي، "شريعتي" اعتقد أن تحرير المرأة لا يتطلب فقط تغيير القوانين، بل يتطلب أيضاً تغيير الثقافة والأفكار السائدة، وبشكل عام كانت رؤيته تدعو إلى دمج حقوق المرأة مع مشروع التغيير الاجتماعي الأوسع.

عندما كانت فاطمة بين الخامسة والعاشرة من عمرها كانت جانب أمها دائماً، ومن الطبيعي أن فتاة في السابعة أو الثامنة من عمرها لا يتحتم عليها خوض غمار الصراعات الاجتماعية الحادة من أجل أبيها، لأن صببية في مثل هذا السن تكون جلسة الدار عادة، بيد أنها كانت تشعر بالمسؤولية إزاء

مستقبل الرسالة رغم صغر سنها، فحينما كانت هناك مجابهة يخوض الرسول P غمارها متفردا نلاحظ هذه الطفلة إلى جانبه على الدوام.

هذا من جهة ويذكر أيضا أيام الحصار الذي حينما يذكره بطل ك "سعد بن أبي وقاص" بعد سنوات يرتجف لهوله ويصفه بأنه من أقسى السنوات وأمرها، وفي تلك الأيام القاسية العصيبة التي كانت أثقل أعبائها تقع على عاتق الرسول P وآل الرسول P باعتباره المسؤول عن ذلك الجوع والضغط والألم والعذاب، كانت فاطمة تملأ كل ركن من أركان ذلك البيت وتلاطف يديها الصغيرتين الناعمتين أمها وأباها البطل الوحيد، كما كانت تسلي إخوتها الأكبر منها، وكانت مصدر إشاعة المحبة والنشاط في تلك الدار التي كانت تجابه الكثير من المصاعب والمعضلات إلى حين الهجرة إلى المدينة المنورة، وذاقت بعد الهجرة أقسى المآسي والويلات إلى أن دخلت دار علي وكانت تشعر بمسؤولية اجتماعية حتى في اختيار علي، فلم يكن اختيارها له بصفته قادرا على إدخال السعادة على من يتزوجها²⁰، إذ كانت تعلم أن عليا لا يملك إلا المحبة والسيف، وتعلم أن كيانه لم يخلق ولم ينشأ إلا كسندان تتناهى إليه جميع الطرقات والضربات وكانت بقبولها لهذا الرجل كزوج لها قد اختارت مسؤولية فكرية واجتماعية وإنسانية كبرى.

وعليه كانت فاطمة صائبة في خيارها وإلى أي حد تمسكت بخيارها وبرسالتها حتى يوم وفاتها، والعديد من الأمثلة عن فاطمة ومواقفها، فهي شخصية انتزعت الثناء حتى من امرأة كأم المؤمنين "عائشة" (ت 58 هـ) التي كانت معروفة بحب المنافسة وأحد الأمثلة على ذلك أنها كانت شديدة الغيرة على رسول الله P، إلى أن الرسول كان يحب فاطمة إلى أبعد حد وهذا ما كان يوجب الغيظ في نفسها مما دفعها إلى إثارة الكثير من المشاكل وإلا أنها في الوقت ذاته تثني على فاطمة حين قالت على عظمتها: «ما رأيت أفضل من فاطمة إلا أباه»²¹؛ إذ يدعو "علي شريعتي" إلى المقارنة بين المرأة التي اعتبرت

تاريخ الإسلام كقدوة وأسوة وبين المرأة العصرية، بدلا من المقارنة بين المرأة التي تطرح اليوم في المجتمعات الإسلامية بصفتها امرأة مسلمة وبين المرأة الحديثة.

وأبرز مثال أيضا يضربه "شريعتي" عن المرأة المسلمة وصورتها الحقيقية في صفين²² كنه المرأة المثالية، إذ كانت النساء في صفين من أكبر عناصر تشجيع وسند عزائم الرجال الذين كانوا يقاتلون تحت راية علي ودفعهم للإستماتة في مقاتلة العدو بواسطة الخطب والكلمات المثيرة، وهكذا كان دور المرأة، وبعد معركة صفين وبعد شهادة علي وبعد كل تلك الأحداث التي بقيت في ذاكرة العدو سنوات طويلة وبقي معاوية يتذكرها، أمر معاوية بأن يأتوه بامرأة ألفت في صفين خطبا بليغة تحضّ فيها على مقاتلة جيش معاوية ولما حضرت بين يديه قال لها: قد عهدناك تحضين علينا عدونا، فقالت: أعف عما سلف يعف الله عنك، فقال لها: أتعلمين أنك شريكة في كل دم أريق لنا بسيف علي؟ فقالت: بشرك الله كما بشرتني، هكذا يجب أن تكون المرأة²³.

فحينما كان هناك إسلام حقيقي في المجتمع أدّت النساء أدوارا مهمة ونشاطات بارعة في المجالات الأدبية والاجتماعية، وهنا تتجلى الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية لفاطمة وكيفية مواجهتها للتحديات ووقفت إلى جانب زوجها الإمام علي وأبيها، وهذا يدل على حجم الشجاعة والإيمان والعدالة التي تمثلها ودورها في تعزيز حقوق المرأة وضرورة مشاركتها في الحياة العامة.

بعد وفاة فاطمة تبدأ بذكرها وبجهادها حياة أخرى في تاريخ الإسلام، فكانت رمزا ومظهرا لكل دعوة حق ولكل حركة ثورية انطلقت في القرون الثاني والثالث والرابع وحتى القرنين السابع والثامن على امتداد تاريخ الإسلام ومن مصر إلى إيران.

وفاطمة اليوم قادرة على تربية المرأة المسلمة، فهي بصفتها أمًا ربّت في مرحلة من المراحل بنتا كزيب وأبناء كالحسن والحسين، وواكبت في بعد آخر أبعاد المرأة المثالية، وبصفتها زوجة علي فما عاناه من وحدة ومصاعب وبصفتها امرأة ذات مسؤولية اجتماعية لم تتوقف عن الجهاد لحظة واحدة منذ ولادتها وإلى أن دُفن أبوها، فقد حاربت على الصعيد الخارجي ضد جبهة الكفر حتى يوم الهجرة، وحاربت على الصعيد الداخلي ضد الانحراف حتى وفاتها، وحتى بعد الموت أيضا أوصت عليا: يا علي أدفني ليلا كي لا يحضروا عند قبري ولا يصلّوا عليّ ولا يستغفّلوا اسمي لتبرير غصبيهم للخلافة.

إنّ امرأة تُريد أن تجعل حتى موتها ودفنها وسيلة لمناصرة الحقّ ومجاهدة الباطل خليفة بأن تكون مثالا تقتدي به المرأة المعاصرة²⁴؛ وعليه اعتبر "علي شريعتي" أن المرأة كيانا مركزيا في المجتمع، حيث ربط دورها بالتححر الاجتماعي والثقافي، كما يرى أن المرأة ليست مجرد أم وزوجة بل هي رمز للثورة والتغيير، وأن للمرأة قدرة فريدة على الجمع بين الأبعاد الروحية والمادية مما يجعلها عنصرا محوريا في بناء مجتمع عادل في أعماله، ودعا إلى إعادة النظر في النظرة التقليدية والدونية للمرأة والتي كانت تعطى لها في بعض الثقافات، مؤكدا على ضرورة التعليم والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية.

إنّ الاستعمار المعاصر الذي يُعبّد الطريق للاستعمار المعاصر - كما كان الاستعمار القديم يُعبّد الطريق للاستعمار القديم، بمحاولته إبقاء المرأة في الجهل التقليدي والانحطاط الاجتماعي لصالح الاستعمار القديم - لا يتحدّث عن هذه المرأة لأنّ الاستعمار لا يرغب أبداً أن تفكّر وتعمل بطريقة أوروبية؛ لا يرغب أن تكنّ فتياتنا مفكّرات وحرّات ومنتجات، فهو يسعى أن يصنع من الفتيات صنفاً يسمّى "فتاة البار" كي تستطيع أن تلعب له دورين استعماريين كبيرين في المجتمعات المحافظة والتقليدية.

نجد هنا أنّ توجّه أنظار وعواطف ورغبات الجيل الشاب من الأعضاء العلوية: العين والأذن والرأس والقلب إلى الأعضاء السفلية، وي طرح الحرية الجنسية بصورة يفتّت بها كلّ "الروابط الثقافية" -أي سرّ وجودنا والقوام الوطني والديني لنا وأصالة شخصيتنا التاريخية- ويعطّل بها كلّ رغبات الجيل الشاب وانفعالاته الأساسية في المجتمعات الآسيوية والإفريقية ومن بينها الإسلامية، والدور الثاني يتمثّل في أن تصبح "فتاة البار" أحرص من المستهلكين وأقوى المحرّضين والمروّجين للاستهلاك في مجتمعاتنا²⁵، إذ يقول "علي شريعتي" بصدّد ذلك: «ومن أجل هذه الغاية لابدّ لفتيات العالم الثالث، أن يفهمن الحضارة، على أنّها التجدّد، وتلتبس عليهنّ "المرأة المعاصرة" بـ "فتاة البار"»²⁶.

يؤكد "شريعتي" هنا على أنّ نساءنا يجب ألاّ يعرفن هؤلاء النسوة، لأنّ ليس من حقهنّ اعتبار "السيدة ميشن" أو "دولافيد" هي "المرأة المعاصرة" أو "المرأة الأوروبية المتحضّرة" وتقليدها، فليس أمامهنّ إلاّ اختيارات: "إمّا أن يبقين ضحايا الاستعمار القديم، أو يصبحن ضحايا الاستعمار الجديد، فالدين "امرأة المائدة" والحضارة "امرأة البار" ولا شيء آخر"²⁷.

وهنا يتّضح أنّ علي شريعتي "يصنع امرأة من نوع ثالث لا فتاة شرقية ولا غربية إذ التقت اليد المكشوفة للتقليدي الأحمق باليد الخفية وفي نفس الوقت البيّنة للمتجدّد المتحضّر وتعاونتا على تدمير كلّ شيء.

رابعاً. امرأة جديدة تتجاوز الأصالة والحدّات:

1. ثلاثة وجوه للمرأة:

لدينا في المجتمع والحضارة الإسلامية ثلاثة وجوه للمرأة؛ أحدهما وجه المرأة التقليدية الخرافية، والآخر وجه المرأة الحديثة المتأثرة بالغرب والتي بدأ انتشار نماذجها، والأخير هو وجه «فاطمة» والنساء "الفاطميات" والذي ليس له أي شبه بوجه المرأة التقليدية، بعيدة وغريبة عن وجه فاطمة بقدر ما

وجه فاطمة بعيد وغريب عن وجه المرأة الحديثة في عالمنا اليوم، وبالذات في الشرق وخصوصا في المجتمع الإسلامي والإيراني، يواجهنا واقع قاتم، وهو وجود تضاد²⁸ لأزمة وتحول وانهيار وتشتت عنيف جدا في الخصوصيات الإنسانية والسلوك والعادات الاجتماعية وطريقة التفكير، وأساسا تغيير الشكل الإنساني هو الذي أوجد طبقة خاصة باسم "المثقف" أو "الرجل والمرأة المتعلمين" أو "المتحضر" والذين هم في تضاد مع المرأة والرجل "التقليديين؛ وهذا التضاد هو التضاد الذي كان يجب أن يحدث، وما كان أحد يستطيع الوقوف بوجهه، كان قدراً لم تستطع أي قدرة أن تقف بوجهه. ينوّه "شريعتي" هنا إلى أنه لا يعني تأييد هذا التحول أو إنكاره، فالبحث ليس هذا، ولكن القصد هو أن المرأة تتغير بالإجبار، بتغير المجتمع وتحوله، تبدّل اللباس، تغير الأفكار والحياة وجهتها، ولا أمل في إمكان بقائها في قوالب دائمة²⁹.

فبالأمس كان المجتمع ثابتا، وكانت القيم والخصوصيات الاجتماعية غير قابلة للتغيير، كالبنية الاجتماعية، شكل الإنتاج والتوزيع، نوعية الاستهلاك، العلاقة الاجتماعية، الحكم، نوعية التبليغ الديني، الأخلاق والطباع والقيم الإيجابية والسلبية، الفن، الأدب، اللغة وكل شيء، كانت هي نفسها الموجودة في عصر الآباء والأجداد وتبقى هي نفسها في عصر الأبناء والأحفاد³⁰.

في دنيا ثابتة كهذه ومجتمع مغلق لا يتحرك فيه الزمن الاجتماعي كان شكل الرجل والمرأة واحدا، وكان طبيعيا أن تكون الفتاة نسخة مكررة عن أمها، وإن كان هنالك اختلاف بين الأم والبنت فهو في القضايا الفرعية للحياة، أو في حوادث الحياة اليومية أو الانحراف والفساد الأخلاقي، الفردي، الفساد الذي يتفق على الحكم عليه أفراد المجتمع، ولم يكن هناك اختلاف بينهما في السلوك أو الحالة التي يعتبرها البعض صلاحا والآخر فسادا كما هو الحال اليوم.

أما في عالم اليوم فالفتاة تبتعد عن أمها دون أن تكون منجرفة وتصبح كلتاها غريبتين عن بعضهما، ويجعل معدل فارق السن (15، 20، أو 30 عاما) منهما إنسانتين خاصتين بعصرين اجتماعيين، خاصتين بتاريخين ثقافيين، لغتين، فكريين مستقلين عن بعضهما، ولا علاقة بينهما إلا في الأوراق الرسمية ولا اشتراك إلا في العنوان!، ونلاحظ ملامح هذا التضاد التدريجي بين الجيلين في مظاهر الحياة الاجتماعية أيضا.

2. الدين والتقليد:

والمجتمع الذي يحوي هذا التضاد لن يستمر فيه طويلا، وواضح أنّ أحد هذين الصنفين وهو "الأم" سوف يبقى في بوتقة يقضي آخر أيام عمره، وإن الآخر يبدأ دوره منذ أيامه الأولى، وبالتأكيد ستكون هذه الفتاة هي أم "الغد" ولكنها لن تعود إلى القوالب القديمة وعندها سوف تتفق الأم مع البنت في الجيل القادم، فيحدّ الفارق الاجتماعي والزمني بينهما وتصبح ابنتها وفيه لها تماما كما كانت أمها لجدها.

وهذه الحركة أيّ تبديل الصنف التقليدي "صنف الأم" إلى الصنف الجديد، هو أمر قطعي ومن يقف في مواجهة هذا "الأمر الواقع" سواء كان حقيقة أو باطلا، فهو واقع محتوم، ببلاهة وسذاجة ويكتفي بالتهريج والشتيم والسب والغضب والضرب والضغط والتأنيب والفرض والحرمان والتقيد والكلام الفارغ والخداع، ويبرر هؤلاء باسم العقيدة والإيمان والدين والعصمة كل شكل ورثوه عن السابق وأصبح لديهم تقليدا وعادة، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾³¹ و﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾³²، وما كان عليه "الآباء الأولون" ويسعون جاهدين إلى الحفاظ عليه، ويعتبرون كل شيء "قديم" فهو "ديني" وبالتالي يعتبرون "التغيير" بأي شكل كان وبأي شيء حتى في الملابس والزينة كفرا أو يغالطون فيعتبرون التقليدية والمحافظة والقديم والهروب من التجدد والإبداع والابتعاد عن التغيير والتجديد هي الإسلام³³.

ومن هذا القبيل وضع المرأة الذي يحاولون إبقائها عليه بحجة أنه كان من السابق هكذا، وبأنهم اعتادوا عليه، ويقبلونه، ومنطبق مع مصالحهم، مدّعين أن الإسلام هو الذي يريد هذا، وأن الدين وضع هذا "الشكل" ويجب أن يبقى هكذا إلى يوم القيامة، أما الدنيا فتتغير وحتى الرجل نفسه يتغير، وابنه يتغير، ويبقى المرأة في نفس القلب الذي يعجب الرجل، مُدّعين أن محمد ρ خاتم الأنبياء هو الذي أراد للمرأة أن تكون بهذا الشكل وهذه الصفات³⁴.

هؤلاء أيضا يدعون للضلال وما أشد الضرر في دعوتهم، ولكن لا أحد يستمع إلى أقوالهم، لأن المتحول لا يمكن أن يوقفه أحد، ولأن المرأة تتغير بالإجبار والاختيار، فالزمن يتحرك، والمجتمع يفقد جلده بالتدرج بتغير العادات والرسوم والتقاليد والأشكال، لأن "الحقيقة تحيا" و"أشكال الحقيقة أو الباطل" هي التي تموت، وإذا أردنا أن نحتفظ بهذه الأشكال ببلاهة وسذاجة، فسوف تدهسها قافلة الزمن المسرعة، هي وما تحويه -وما تحويه هو الحقيقة، هذه دعوة فاشلة، عقيمة، لن نستمع إليها- لا الزمن، ولا المجتمع أبدا، ولا يمكنهم الاستماع إليها، ولكن إذا هم برّروا التقاليد التي تموت والعادات التي تمرّ وتنقض بالدين فهم لن يستطيعوا حفظها بقوة كالدين ولكنهم بهذا العمل يظهرون الدين على أنه ميت، جامد، خاص بالماضي فقط، فيخسرونه مع التقاليد.

من الأمثلة البارزة في التاريخ العربي والإسلامي نجد "هدى الشعراوي" التي حُرمت في صغرها من ممارسة حقوقها وهواياتها وتعليمها النحو كونها تربت في عائلة ثرية لكن محافظة، فلما أرادت تعلّم اللغة العربية دون خطأ فالمسؤول عنها المدعو "سعيد آغا" قال لها: لا نروم النحو لأنك لن تكوني محامية يوماً من الأيام، ضف إلى ذلك لما أرادت ممارسة ركوب الخيل حرموها من ذلك فأخوها هو الذي يركب الخيل (المهر) وهي خيرتها أمها ببيتها

وعزف البيانو، فقالت أتعلّم الموسيقى أما ركوب الخيل فأركب خيل أخي، وهنا قالت "هدى الشعراوي" بصدد هذا: «وقد أثرت هذه الصدمة الجديدة في نفسي تأثراً شديداً، وبدأ اليأس يتسرّب إلى قلبي ويتولّاني الملل في حتى أهملت دروسي، وصرت أكره أنوثتي، لأنّها حرمتني متعة التعليم وممارسة الحياة الرياضية التي كنت أحبّها، كما كانت تحول بعد ذلك بيني وبين الحرية التي كنت أعشقها»³⁵؛ وهنا يظهر حرمانها من التعليم أولاً وممارسة حقوقها ثانياً (هواية ركوب الخيل) وهذا تقييد للحريات.

تكلمت "الشعراوي" في رسالة السلام وتكلّمت عن الوفد النسائي المصري، وألقت خطبتها عن ضرورة تعاون الشرق والغرب ومقاومة الحروب التي تهدّد العالم وتحدّثت عن انضمام الأمم الشرقية إلى الاتحاد النسائي الدولي رغبة في التعاون مع الغرب لنشر السلام العام بين الأمم جميعاً، على أن يكون هذا السلام مبنياً على أسس العدل واحترام حقوق الشعوب وإزالة الفوارق الجنسية والدينية وغير ذلك من المسائل الجوهرية³⁶.

ومن قرارات المؤتمر أنه على النساء من جميع بلدان العالم أن يوجّهن أنظارهنّ إلى قاعدة المساواة والعدالة، ويجاهدن لاستئصال شأفة انحطاط منزلتهنّ التي يشتملن منها من الوجهة القانونية والاجتماعية والاقتصادية، وأن يطبّق مبدأ المساواة بين المرأة والرجل في مسألة الجنسية يتعدّر العمل به في مصر من جرّاء نظام الامتيازات الأجنبية (المؤتمر ينعي زوال النظام المخالف لمبادئ المساواة، وخاصة أن مصر البلد الوحيد الذي لا يزال قائماً فيه هذا النظام)³⁷.

إذا اعتبرنا الدين والتقاليد شيئاً واحداً وصنعنا من الإسلام الذي لا يزول حارساً لأشكال الحياة والمجتمع الزائلة، واشتبهنا به مع العقائد القومية والظواهر الحضارية والتاريخية، عندها سوف يخطئ الزمن الذي يجري ويجرف معه التقاليد والعادات وأشكال الحياة، والعلاقات الاجتماعية

والظواهر القوميّة والتاريخية، والعلاقات الثقافية القديمة، سوف يخطئ ويجرف معه كل هذه الأشياء: الدين والإسلام ويصلهم جميعا على خشبة واحدة³⁸.

خامسا. موقف الإسلام من المرأة:

إنّ النموذج المثالي للمرأة المسلمة عند "علي شريعتي" يتمثل في فاطمة ونساء المسلمين الحقيقيين، كما تتجسّد المرأة الحقيقة عنده في عين وقلب محمد P قائد المسلمين وخاتم الأنبياء جميعا، حيث يرى بأنّ موقفنا من قضية المرأة ينبغي أن يكون موقفا علميا متحيّزا على الرغم من أنّ العلم لم يقدّم حتى الآن إجابات حاسمة على إشكالية المرأة، فلا يمكننا إصدار أحكام مسبقة ولا معالجة موضوعها انطلاقا من العادات والتقاليد السائدة في المجتمع ولا بالاعتماد عمّا هو سائد في الفلسفات الغربية حول قضية المرأة. يرى "شريعتي" بأنّ الإسلام أعطى مكانة إنسانية واجتماعية وحقوقية كبيرة للمرأة، حيث حفظ شخصيتها ووَقّر لها الاستقلال المادي والاقتصادي من خلال إلزام الرجل بدفعه حتى لا يفرض عليها هيمنته، وبهذه الطريقة كانت مكانة

المرأة في الإسلام متفردة ومتميّزة جدا حيث يقول: «إنّ الإسلام بقدر ما يُناهض نزعة التمييز العنصري بين المرأة والرجل، فهو لا يُساند الأفكار الداعية إلى المساواة بين الاثنين، وبعبارة أخرى إن الإسلام يرفض التمييز ولا يقبل المساواة أيضا، بل يسعى إلى فسح المجال اجتماعيا لكلّ من الرجل والمرأة بلعب دوره واحتلال مكانه الطبيعي في عملية البناء والتطوّر»³⁹؛ وهذه هي المساواة الحقيقية في الإسلام، حيث يقوم كل من الرجل والمرأة بالدور الذي أعطتهما إياه الطبيعة ويقومان به على أكمل وجه من أجل بناء الحضارة والمجتمع، وأفضل نموذج تمثله مكانة المرأة في الإسلام هو النبي محمد P في تعامله مع ابنته فاطمة أو في تعامله مع زوجاته أو في قبول

البيعة من نساء مجتمعه آنذاك، حيث يؤكّد على الدور الثقافي والاجتماعي للمرأة بعدما كانت مضطّدة وغير معترف بها نهائياً في العصر الجاهلي. ولعلّ أهمّ من يعارض هاته المسألة هي الفكر النسوي العربي الذي يرفض سلطة النظائر الأبوي، لأنّ أهمّ القضايا والإشكاليات كانت تندرج ضمن أبرز موضوع عالجتّه النسويات العربيات والمفكرين العرب من الرجال وحتى النسوية العالمية، وهو موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، فالنساء يمثّلن نصف سكّان العالم والنصف الآخر يُمثّله الرجال ولهذا يجب المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات من أجل تحقيق الأمن والسلام والنمو الاقتصادي والاجتماعي في المجتمعات البشرية، والقضاء على كلّ أشكال التمييز ضدّ المرأة.

كما يدرس "علي شريعتي" مكانة المرأة في الإسلام من خلال موضوعين مهمّين جداً في الإسلام، وهما مسألتان أسالتا الكثير من الحبر لدى المفكرين والمستشرقين المعاصرين وهما: مسألة الحجاب ومسألة تعدّد الزوجات:

1. تعدد الزوجات:

لقد تمّ الطعن في النبي P واتّهامه بأنّه زير نساء مثل كلّ ملوك الشّرق الذين عرفهم التاريخ، إلّا أنّ كلّ القضايا الواردة في حياة النبي هي وحي الله عزّ وجلّ، وبعيدا عن كلّ الاتّهامات يرى "علي شريعتي" بأنّ مسألة "تعدّد الزوجات" تعدّ من القضايا التاريخية الأخلاقية والاجتماعية التي تتغيّر بتغيّر الزمن والبيئة، مثلها مثل كلّ القضايا الإنسانية الأخرى، فتعدّد الزوجات تابع لبيئة بدويّة قائمة على النظام الأبوي الطّاغي ولا يمكننا تقييمها من وجهة نظر المدنيّة الأوروبيّة أو المجتمع الغربي الحالي فتظهر وكأنّها جرم وجناية حقيقيّة، بل ينبغي النظر إليها في إطار الزمن والبيئة التي ظهرت فيها قديما حتى نحلّلها بطريقة موضوعية، بل حتّى مفهوم الزواج في حدّ ذاته كان يحمل معاني ودلالات مُغايرة لما هو سائد الآن، فلم يكن الزواج قديما قائما

على أبعاد اللذة والحبّ بل كان قائما على مجموعة من الروابط الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية.

إنّ النظرة المعاصرة لمسألة تعدّد الزوجات في مجتمعاتنا الحالية مرتبطة بإشباع الرغبات الجنسية لا غير، وهو ما جعل منها قضية مستهجنة حاليا، فمضى استطاع الرجل وأصبح مقتدرا ماديا يعدّد زوجاته حتى يشبع نزواته، في حين أنّ الحكمة الحقيقية من تعدّد الزوجات في الإسلام مختلفة تماما عمّا هو سائد الآن⁴⁰، حيث يكون التعدّد مرتبطا بحالات اجتماعية معينة كاليتيم أو الأرملة وغيرها من الحالات التي تستحقّ القيام بإعادة الزواج، خاصة عندما يكون المجتمع في حالة مقاومة الاستبداد والاستعمار أو في حالة حرب مثلا.

حين نبحث بعمق في سيرة النبي محمد P نجد أنّه لما كان في مكة لم يعرف تعدّد الزوجات، بل تزوّج من خديجة فقط وهي في سنّ الأربعين وقضى معها معظم سنوات شبابه الأولى، فلو كان الهدف من التعدّد هو إشباع الرغبة الجنسية لتزوّج وهو صغير في السنّ، ولكنّ في المدينة تعدّدت زوجاته وكان لكلّ واحدة منهنّ سببا للزواج بها؛ فعائشة مثلا تزوّجها وهو في الخمسين من عمره بعد وفاة خديجة وأثناء أكثر السنوات الحالكة التي عاشها من قلق واضطراب في مكة، فتزوّجها حتى لا يبقى وحيدا يكابد مشاق الحياة⁴¹، ولكلّ واحدة من زوجاته قصة أو سبب جعله يتزوّج منها فإما أنها كانت أرملة أو لم يستطع تركها للعبودية، مثل: سودة بنت زمعة، هند (أم سلمة)، رملة أم حبيبة، جويرية وغيرهنّ من زوجات النبي P.

وعليه فإنّ مسألة تعدّد الزوجات جاءت في بيئة اجتماعية معيّنة تابعة للعصر الجاهلي، والإسلام جاء ليحدّد عدد الزوجات بأربعة فقط وبشروط معيّنة أساسها العدل وهو شرط صعب جدا لقوله تعالى: «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ

تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ»⁴²، فلا يمكن النظر إلى الموضوع نظرة معاصرة والحكم عليه بطريقة سلبية.

وفي مقابل النظرة الذكورية لمسألة تعدّد الزوجات نجد بأنّ النسوية العربية تصدّت بشدّة لهاته المسألة رافضة إياها لأنها تمنع المساواة بين الرجل والمرأة؛ حيث ذهبت الباحثة التونسية "ألفا يوسف" إلى القول بأنّ التعدّد في الجاهلية لم يقتصر على الزوجات فقط بل تعدّاهما إلى تعدّد الأزواج، فذكرت مجموعة من أنواع النكاح مثل الضّماد والاستبضاع الذي تقوم فيه المرأة بنكاح أكثر من رجل حتى ولو كانت متزوجة، ولمّا جاء الإسلام حرّم كلّ هاته الأنواع على الرغم من عدم وجود آية صريحة وواضحة تؤكّد ذلك وما يوجد فقط تفسيرات للفقهاء لبعض الآيات القرآنية مؤوّلين إياها إلى المعنى الذي يخدم آرائهم⁴³؛ أما موقفها من تعدّد الزوجات فكان من خلال استقراءها لمعنى الآية الكريمة التي تبيح تعدّد الزوجات بشرط العدل بينهما، حيث أكّدت بأنّ الإسلام أباح تعدّد الزوجات في حالة اليتيم فقط دون غيره من الحالات لأنّ شرط تحقيق العدل صعب للغاية فحتى لو تحقّق العدل المادي سيغيب العدل في المشاعر⁴⁴.

2. الحجاب:

بالإضافة إلى معالجته لمسألة تعدّد الزوجات وتحليلها فقد عالّج "علي شريعتي" مسألة العباءة والحجاب في الإسلام؛ فرأى بأنّ العباءة عبارة عن زيّ أو لباس مرتبط بالتقاليد الاجتماعية التي تختلف من ثقافة إلى أخرى، أما الحجاب وهو حكم إسلامي فُرض على المرأة المسلمة⁴⁵، والمسلمون اليوم يخلطون بين العباءة بوصفها تقليدا اجتماعيا وبين الحجاب بوصفه حكما فقهيّا صارما، واعتبروهما شيئا واحدا؛ فالحجاب الشرعي الإسلامي المحتشم لا يمنع المرأة من ممارسة مهامها اليومية ولا العملية؛ وفي هذا الموقف يتشابه "شريعتي" مع "قاسم أمين" في هذا الطرح.

وهو الموقف الذي اتخذته "ملك حفني ناصف" حين فرقت بين البرقع الصحيح والبرقع الوهمي⁴⁶ وطالبت بضرورة التدرج في السفور وأن لا يتم مرة واحدة لأن المجتمع العربي لا يزال مجتمعاً متخلفاً لا يحترم المرأة المحجبة فما بالك إذا نزع الحجاب، وحتى المرأة المتعلمة فإن علمها ناقص وهو ما سيؤدي بها إلى الاختلاط بالرجال وبالتالي الفساد والفتنة، ولهذا وجب أولاً إصلاح تربية وأخلاق النساء والرجال ثم نزع الحجاب، حيث تصبح المرأة قادرة على اختيار ما تريد وفق ما يخدم مصالحها ومصلحة الأمة.

و"قاسم أمين" هو الكاتب والمفكر المصري المعروف برؤيته المتقدمة حول حقوق المرأة وقضية الحجاب بوصفه لباساً محتشماً للمرأة في كتابه: «تحرير المرأة» عام 1899⁴⁷، دعا إلى تحرير المرأة من القيود الاجتماعية التي تحد من دورها، حيث اعتبر أن التعليم هو الوسيلة الأساسية لتحسين وضع المرأة وأن على المرأة المشاركة في الحياة العامة بشكل أفضل.

ركز "قاسم أمين" على عدم النظر إلى المرأة مُشيراً إلى المجتمع أنها ليست مجرد ربة بيت بل أن لها جزءاً مهماً في بناء المجتمع، وقد ساهمت أفكاره بشكل كبير في حركة المرأة العربية في العالم العربي، وساهمت في تعزيز المطالب بالحقوق المدنية والسياسية للنساء.

إن الإشكالية الأساسية التي تُطرح بالنسبة لمسألة الحجاب حسب وجهة نظر "علي شريعتي" تتمثل في الطريقة التي يتعاطى بها الآباء والأمهات مع المشكلة؛ لأنهم يُكرهون أولادهم على الصلاة أو الحجاب أو الصوم ويُفهمونهم الدين بطريقة خاطئة عن طريق الإكراه مما يجعلهم يرفضون كل شيء يأتي عن طريق الإكراه والتنفير، في حين أن فرض ارتداء الحجاب عند المسلمين تطور مع مرور السنوات ولم يفرض عليهم منذ البداية تماماً مثل موضوع الخمر الذي تطور مع مرور السنوات: "فالأشخاص الذين أسلموا في السنة الأولى وآمنوا بالتوحيد وتوفوا، ربما كانوا يشربون الخمر ولا يصلون ولا

يصومون ولم يحجوا ولم يجاهدوا، بل لعلهم كانوا يأكلون الربا، وذلك لأن حرمة الربا أعلنها الرسول (ص) في حجة الوداع⁴⁸؛ أي أن الأمور تمت بالتدريج من أجل الدين الجديد الذي لا يستطيع تنفير الناس منه من أول وهلة بل يفرض عليهم الأمور خطوة بعد خطوة، وبعد عدة مراحل حيث هيأهم نفسياً أولاً ثم فرض عليهم بعدها ما لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية، والأمر نفسه بالنسبة للحجاب، حيث يقول "شريعتي": «المطلوب هو أن نبين للفتاة معنى الحجاب وحقيقته، ولا داعي بعدئذ أن نشرح لها ما ينبغي عمله، وستجد نفسها عندئذ أمام خيار وليس أمام أمر يُفرض عليها فرضاً؛ لأنها عندما تشعر بوجود ما يفرض عليها ستتخذ موقفاً متعنّناً»⁴⁹، فالحجاب عبارة عن زيٍّ محتشم ينبغي أن تتباهى به النساء المسلمات، ولكن لا ينبغي أبداً فرضه عليهنّ إلّا من خلال القناعة الكاملة.

من خلال العودة إلى النظرية النسوية حول مسألة الحجاب نجد الكاتبة والسياسية اللبنانية الملقّبة بالمرأة الحديدية "نظيرة زين الدين" (1908-1976) فقد خصّصت كتاباً كاملاً حول قضية الحجاب، حيث اعتبرت أنّ حرية المرأة لا تكتمل إلّا من خلال السفر ونزع الحجاب وذلك بتقديمها لمجموعة من الأدلة العقلية لتبرير موقفها؛ حيث أكّدت بأنّ عدد الأفراد الذين ينتمون إلى العالم السّافر أكثر بآلاف المرات من عدد الأفراد الذين ينتمون إلى العالم المحجّب، فالأمم السّافرة راقية ومتعلّمة ومتقدّمة في حين أنّ الأمم المتحجّبة تميل إلى تقديس الجمود والتقاليد الاجتماعية البالية⁵⁰، ولهذا فإنّ النساء اللواتي يسافرن إلى الغرب ينزعن الحجاب لأنّهنّ يرينّ بأنه لا علاقة للآداب والتربية والشرف والعفة والأخلاق بما ترتديه المرأة فوق رأسها أو ما تُغطّي به وجهها ويديها، بل إنّ العفة والأخلاق والآداب الحقيقية ترتبط بالعقل والتربية الصالحة المؤسّسة على المبادئ العقلانية.

ولم تبتعد الباحثة المغربية "فاطمة المرينسي" كثيرا عن رأي النسويات اللاتي سبقنها في تحليلهم لقضية الحجاب، حيث استفاضت في تحليلها لآية الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾⁵¹، حيث قالت: «نزل الحجاب، لغةً (الستار) ليس من أجل وضع حاجز بين رجل وامرأة، وإنما بين رجلين. والحجاب هو حدث مُحدّد التاريخ يناسب الآية 53 من السورة 33 التي أُوحي بها في السنة الخامسة هجرية (627)»⁵²؛ وقد استندت "المرينسي" في تحليلها التاريخي لهذه الآية إلى كتب الفقهاء والمفسرين من أجل فهم سبب نزولها في ذلك الوقت والحدث بالذات؛ أي ليلة زواج النبي من "زينب بنت جحش"⁵³، فأية الحجاب نزلت في غرفة الزوجين لحمايتهما من الجماعة المزعجة التي لم تُغادر حفل الزواج على الرغم من تأخر الوقت كثيرا، فلما غادروا بيت النبي ذهب "أنس بن مالك" لإخباره بمغادرتهم نزلت آية الحجاب فألقى النبي حجابا بينه وبين "أنس"، ولهذا فإنّ الحجاب استعمل كستار بين رجلين ثمّ مع مرور الوقت اتخذ معاني مختلفة تماما.

سادسا. الخاتمة:

من خلال كلّ ما سبق قوله يمكننا الإجابة على سؤال مكانة المرأة في فكر "علي شريعتي" وتلخيصها في النقاط التالية:

- يستخدم "علي شريعتي" لغة أدبية ثورية، ويطرح تساؤلات فلسفية حول الهوية والدين، مما جعل رؤيته للمرأة تعدّ من بين أهمّ القضايا الفكرية المعاصرة في هذا الزمن، حيث اعتبر بأن: "المرأة التي تساوم بمهرها وتقضي

سنة تتحدّث عن جهازها أو الذهب الذي أُهدي إليها وفخامة حفل زفافها لا تزال جارية بالمعنى الكامل للكلمة¹؛ فالمرأة تمثّل كيانا مركزيا في المجتمع، وذلك من خلال ربط دورها بالتححرر الاجتماعي والثقافي، لأنّها ليست مجرد أم وزوجة بل هي رمز للثورة والتغيير.

-تناول "علي شريعتي" مفهوم المرأة بشكل عميق في كتاباته، حيث اعتبر أنّ المرأة ليست مجرد كائن اجتماعي، بل هي عنصر فعال ومؤثر في المجتمع، فركّز على أهمية دور المرأة في بناء الحضارة والتغيير الاجتماعي، مشدّداً على ضرورة تحرّرها من القيود التقليدية التي تقيدها، مشدّداً على أهمية تعليمها وتمكينها لتحقيق ذاتها.

-اعتبر بأنّ المرأة تمتلك طاقة إبداعية وعمقاً روحياً يمكن أن يساهم في تطوير المجتمع، كما دعا إلى تجاوز النظرة الدونية التي تُعطى لها في بعض الثقافات، وكذا على أهمية التعليم والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية.

-تحدّث "علي شريعتي" على دور المرأة في التاريخ الإسلامي وكيف يمكن أن تكون عاملاً للتغيير الاجتماعي والثقافي، إذ شدّد على أهمية تحرير المرأة من القيود الاجتماعية والثقافية التي تُعيق تقدّمها، كما اعتبر أنّ المرأة تمتلك قدرة فريدة على الجمع بين الأبعاد الروحية والمادية مما يجعلها عنصراً محورياً في بناء مجتمع عادل في أعماله، دعا إلى ضرورة إعادة النظر في النظرة التقليدية للمرأة وتعزيز دورها في الحياة العامة.

⁵⁴ سابعا. الهوامش :

¹ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، تر: خليل الهنداوي، تح: محمد حسين بزي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007، ص ص 16-17.

² علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، تر: هاجر القحطاني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007، ص 88.

³ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 17.

- ⁴ المصدر نفسه، ص 16-17.
- ⁵ سيغموند فرويد (1856-1939) طبيب نمساوي، مؤسس علم التحليل النفسي، درس الدوافع والعواطف اللاشعورية والعوامل الجنسية لا سيما في ضوء الطفولة والإشارة هنا إلى كتابه "تفسير الأحلام".
- ⁶ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 21.
- ⁷ جميل قاسم، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2010، ص 172.
- ⁸ علي شريعتي، قصة حسن ومحوبة، تر: موسى قصير، مرا: حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007، ص 17.
- ⁹ المصدر نفسه، ص 18.
- ¹⁰ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 25-27.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص 27.
- ¹² علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 30.
- ¹³ المصدر نفسه، ص 31.
- ¹⁴ جميل قاسم، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، ص 169.
- ¹⁵ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 42-43.
- ¹⁶ علي شريعتي، معرفة الإسلام، تر: حيدر مجيد، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007، ص 315.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص 43.
- ¹⁸ فذك: واحة في الحجاز كانت قد انتزعت من فاطمة بعد وفاة النبي إثر اجتماع السقيفة ولم تتوقف يوما عن المطالبة بها.
- ¹⁹ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 45.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 46.
- ²¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ²² صفين: موقع في سورية على الفرات عنده تلاحم جيش الإمام علي ومعاوية في قتال انتهى بالتحكيم (37هـ/ 657 م) نقلا عن المصدر نفسه ص 49.
- ²³ المصدر نفسه، ص 49.

-
- ²⁴ المصدر نفسه، ص ص 54-55.
- ²⁵ علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص 89.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص 90.
- ²⁷ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ²⁸ المصدر نفسه، ص 51.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 51.
- ³⁰ المصدر نفسه، ص 52.
- ³¹ سورة الكهف، الآية 55.
- ³² سورة الأنفال، الآية 31.
- ³³ علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، ص 54.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 55.
- ³⁵ هدى الشعراوي، مذكرات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، (د.ط)، ص 29.
- ³⁶ المرجع نفسه، ص 324.
- ³⁷ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص ص 55-56.
- ³⁹ علي شريعتي، معرفة الإسلام، ص 314.
- ⁴⁰ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 69.
- ⁴¹ علي شريعتي، معرفة الإسلام، ص ص 351-352.
- ⁴² سورة النساء، الآية 129.
- ⁴³ ألفة يوسف، حيرة مسلمة (في الميراث والزواج والمثلية الجنسية)، دار سحر للنشر، تونس، ط3، 2008، ص 126.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ص 132-133.
- ⁴⁵ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 50.
- ⁴⁶ ملك حفي ناصف، النسائيات، تق: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة- بيروت، 2015، ص 22.

⁴⁷ قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2012، ص 17.

⁴⁸ جميل قاسم، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، ص ص 173-174.

⁴⁹ علي شريعتي، مسؤولية المرأة، ص 87.

⁵⁰ نظيرة زين الدين، السفور والحجاب، تق: فاطمة حافظ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط 1، القاهرة-بيروت، 2012، ص 131.

⁵¹ سورة الأحزاب، الآية 53.

⁵² فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي (النبي والنساء)، تر: عبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، (د.ت)، ص 107.

⁵³ أبي جعفر الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج 19، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، القاهرة، 2001، ص ص 164-169. ابن العربي، أحكام القرآن، ج 03، مرا وتغ: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط 3، بيروت، 2003، ص ص 610-618.

ثامنا. قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن العربي، أحكام القرآن، ج 03، مرا وتغ: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط 3، بيروت، 2003.

2- أبي جعفر الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج 19، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، القاهرة، 2001.

3- ابن العربي، أحكام القرآن، ج 03، مرا وتغ: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط 3، بيروت، 2003.

4- ألفة يوسف، حيرة مسلمة (في الميراث والزواج والمثلية الجنسية)، دار سحر للنشر، تونس، ط3، 2008.

-
- 5-جميل قاسم، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2010.
- 6-فاطمة المريني، الحريم السياسي (النبي والنساء)، تر: عبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، (د.ت).
- 7-قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2012.
- 8-علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، تر: هاجر القحطاني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007.
- 9-علي شريعتي، قصة حسن ومحبوبة، تر: موسى قصير، مرا: حسين علي شعيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007.
- 10-علي شريعتي، معرفة الإسلام، تر: حيدر مجيد، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007.
- 11-علي شريعتي، مسؤولية المرأة، تر: خليل الهنداوي، تح: محمد حسين بزي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط2، 2007.
- 12-ملك حفي ناصف، النسائيات، تق: منى أحمد أبو زيد، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة-بيروت، 2015.
- 13-نظيرة زين الدين، السفور والحجاب، تق: فاطمة حافظ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة-بيروت، 2012.
- 14-هدى الشعراوي، مذكرات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.